القول المبين

فى حكم دعاء ونداء الموتى والانبياء والصالحين

تأليف

محمد محمد مخيمر

من علماء الأزهر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة طيطا بحلقوم الجمل بالزريبة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين) (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) وروى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

(افترق اليهود والنصارى على ثنتين وسبعين فرقه وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدةً قالوا فمن هي يارسول الله قال التى تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابى) بعد تلك الآيات المحكمات فهذه رسالتى إلى أهل الاسلام ووصيتى وعهدى بين الله وبين الناس أنى بلغت ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة من الحق فيما اختلفوا فيه كما أنى مطالب بين يدي الله كل من اطلع عليها ثم لم يعمل بما فيها فانها مشتملة على ما كان عليه هو وأصحابه فى المسائل التى وضعت من أجلها ولعلها تكون معذرة لى عند الله حينما يسأل سبحانه وتعالى العلماء عن إهمالهم تبليغ دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الصحيح وحجة لي عنده كما أنها حجة لله على من خالف ما فيها (وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين) (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبُلَ فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذى أنزل على عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه ومن تبعهم بخير وإحسان قوله عز وجل (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله فهذه رسالة تشتمل على ما يلزم المسلم معرفته من عقائد دينه سميتها « بالقول المبين فى حكم دعاء ونداء الموتى من الانبياء والصالحين » ورتبتها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وأودعتها من الابحاث العلمية على صغرها مالا يتيسر الحصول عليه من كبار الكتب والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفع بها كل من قرأها وسمعها وأن يتفضل بالمعونة والتوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم إنه هو السميع البصير البر الرحيم

مقدمة

إعلم أنه قد كثر اختلاف الناس قديماً وحديثاً فى حكم من دعا صاحب قبر أو توسل بمخلوق من المخلوقين إلى الله عز وجل

بعد انتقاله إلى الدار الآخرة ممن عرفوا بالتقوى والاستقامة على الطريق الحق . ونحن نبين حكم هذه المسائل على الوجه الذي بينه الكتاب والسنة واتفقت عليه كلمة المهتدين من هذه الأمة فنقول وبالله التوفيق .

لابد قبل الكلام على هذه المسألة من معرفة أمور الأول الوقوف على مشركي العرب وفرقهم وبيان هذا الأصل ينفع في معرفة الحق في هذه المسائل ويرد قول من قال إن آيات القرآن قد نزلت في عباد الأصنام فقط فلا يصح تنزيلها على غيرهم ممن آمن وصلى وصام فإن هذا القول قد اغتر به كثير من علماء المسلمين وبيان فساده من وجهين — الأول أن أئمة المسلمين متفقون على أصل مشهور وهو أن العبرة في التشريع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإذا كانت الآيات التي ذمت من كانوا يدعون الأصنام نزلت بسببهم فإنها بالقاعدة المتقدمة تعم كل من عمل عملهم — والوجه الثاني — الذي يبطل حمل الآيات على أهل الأصنام وحدهم أن المشركين كانوا أربع فرق . الفرقة الأولى تنادي الأصنام والفرقة الثانية تنادي الجن والثالثة تنادي الملائكة والرابعة تنادي الأنبياء

والصالحين من نبي وكل فرقة استغوت واتخذتهم من الموحدة ومن هذه الفرق من كان يعترف بالبعث ومنهم من كان ينكره لكن الفرقة التي كانت تعترف بالبعث تعترف به على وجه غير صحيح إذ كانت تزعم أنها مهما عملت من الذنوب فإن مآلها إلى الجنة معتمدة على أن من استغاثت بهم وتدعوهم من دون الله يخلصونها بما لهم من المنزلة والجاه عند الله تعالى وهذا البيان الذي ذكرناه من افتراق المشركين إلى هذه الفرق قد بينه القرآن وتكلم مع كل فرقة بحسب ما تعتقد واليك الآيات التي تدل على ذلك وهي قاطعة فيما قلنا.

الفرقة التي كانت تدعو الجن (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً) «سورة سبأ» وقال تعالى في شأن هذه الفرقة (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا[1] له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) «سورة الانعام» وقال تعالى في شأن الفرقة التي كانت تدعو الانبياء والصالحين

---

(١) اخترعوا

د ـعتهم وتسفيه رأيهم (إن الذين تدعون من دون الله عباد
أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) الى قوله قل
ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليي الله الذي نزل
الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا أنفسهم ينصرون) سورة الاعراف وقال تعالى في شأن
هؤلاء أيضاً (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) سورة الاسراء
ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام ترجو رحمة أو تخاف عذابا
وإنما ذلك يكون للذين يعبدون الله حق العبـــادة والآية تشمل
بعمومها من كانوا يدعون الملائكة وسيأتي الكلام على هذه الآية
مفصلا في محله . وأما الذين كانوا يدعون الاصنام فهم أحط الفرق
من المشركين الا أن كل هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لكل
شيء هو الله تعالى وأن دعاءهم الذين يدعون ليقربوهم الى الله زلفى
كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله (والذين اتخذوا من
دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) سورة الزمر

وسيأتى مزيد لهذا البحث فى الكلام على بيان عقيدة المشركين كما بينها القرآن . ومن هذا يتبين أن قول بعض الناس ان الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم قول باطل فان القرآن تكلم مع كل الفرق كما بينا فاحفظ هذا الأصل فانه ينفعك فى كثير من هذه المسائل التى اختلفوا فيها والى هنا نشرع فى المقصود من وضع هذا الكتاب وبالله التوفيق .

الباب الاول فى أمور عامة لابد من معرفتها

السؤال الاول : ماحكم الذاهب إلى القبور لسؤال أصحابها ودعائهم وندائهم وسؤال الله تعالى بهم والاستغاثة بهم فى جلب النفع ودفع الضر للمستغيث والسائل .

السؤال الثانى : هل يوجد فى كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو عمل أصحابه أو الذين اتبعوهم باحسان أو عمل أو قول الأئمة المجتهدين أن الامور المذكورة فى السؤال الاول يجوز فعلها لاحد من الناس .

الجواب

لابد لمن يريد أن يعرف جواب هذين السؤالين أن يعلم أولا أن

هذه الامور المسؤول عنها لا دخل للعقل ولا للقياس فيها لانها أمور منها ما يتعلق بالعقائد ومنها ما يتعلق بالعبادات ولا سبيل إلى معرفة الامرين إلا من الشرع . وحيث اختلف الناس فى هذه المسائل وجب ردها إلى قوله تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فقوله تعالى ذلك خير أى الرد إلى الله وإلى الرسول فيما اختلتم فيه خير لكم فى دار الدنيا لأنه يبعدكم عن التفرق فى الدين الذى هو طريق المشركين وأحسن تأويلا أى أحسن عاقبة يوم القيامة لأنه لا نجاة إلا بذلك وما دام هذا هو الميزان الذى أرشدنا الله إلى اتباعه ووزن ما نختلف فيه من الاحكام به فنشير عليه فى جواب هذين السؤالين فنقول وبالله التوفيق .

إن الله عزوجل قد قال فى سورة الاسراء توبيخاً لمن سأله بالانبياء والاولياء والصالحين والملائكة (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى قل أيها الرسول للذين يسألونى بعبادى من الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة أو يسألونهم دونى نادوا الذين ظننتم من عبادى أنهم يستطيعون أن

يجيبوا لكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضراً قبل أن ينزل بكم فيجهدوه عنكم أو يكشفوه إذا نزل بكم واطلبوا منهم ما شئتم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم إذا نزل بكم ولا تحويله عنكم إلى غيركم إذا أردت أن أنزله بكم ولا بد من حمل الآية على ما قلناه وإخراج غير العقلاء من الأصنام وغيرها من هذه الآية وتخصيصها بالمقربين من عباد الله لقوله بعدها « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محظوراً » أي أولئك المقربون الذين يدعوهم ويناديهم غير المقربين هؤلاء المقربون يطلبون القربة إلى الله تعالى أي التقرب بما شرعه لهم ويرجون رحمته ويخافون عذابه والأصنام وغيرها مما عبد من دون الله تعالى لا شأن لها بعلم الدين ولا بالعمل به لطلب التقرب ولا هي ترجو رحمة ولا تخاف عذاباً فتعين كما قلت حمل الآية على المقربين من عباد الله وقد بين الله أن المقربين لا يملكون من سألهم كشف الضر عنه بعد نزوله ولا تحويله عنه قبل نزوله وكما بين الله ذلك هنا بينه في سورة الجن بقوله يخاطب رسوله « قل أني لا أملك لكم ضراً

ولا رشد » والمفسرون متفقون على أن فى هذه الآية محذوفين وتقديرهم قل انى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً قل أو كثر ولا رشداً ولا غياً أى ولا هدى ولا ضلالا لاقل أو كثر كما هو شأن وقوع النكره فى سياق النفى فانها تعم القليل والكثير وقال تعالى فى سورة الفتح « قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً » أى لا أحد من عباد الله يمنع لكم شيئاً من النفع فى جنبه لكم أو من الضر فيدفعه عنكم حتى أراد الله خلافه فبين أن كل شىء مما يرجوه المخلوق أو يخافه موكول الى ارادة الله عز وجل لا الى عباده .

اذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال أى مخلوق من المخلوقين بعد انتقاله الى الدار الآخرة عدول عن ما أمر الله به وخروج عن آيات كتابه وخال عن الفائدة وضلال لحكم القرآن لان المسؤول من الخلق بعد الموت لا يسمع سائله ولا يجيبه ويتبرأ منه يوم القيامة لانه إما جماد وإما عبد مشغول بما هو فيه من أمور الآخرة كما قال تعالى فى سورة الاحقاف « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » قال

البيضاوي في تفسير الآية المذكورة لا أحد أضل من داع يدعو غير الله مخلوقا لا يستجيب له ذلك المخلوق دعاءه إلى يوم القيامة وهم أي المسؤلون عن دعاء السائلين غافلون لانهم إما جمادات وإما عباد مشغولون بما هم فيه من أحوال الآخرة . انتهى

فأنت ترى أن كلام المفسر صريح في حمل الآية على العقلاء والاصنام وغيرها وإذا كان الله قد جعل من سأل الموتى وغيرهم من المخلوقين من أضل الناس بسؤاله هذا فلاشك أن السؤال يكون ضلالا وحراما ممن علم هذه الآية ثم سأل بعد ذلك وأما السنة فمنها عند أصحاب السنن حديث ابن عباس في منع سؤال غير الله تعالى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الامة لو أجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو أجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف » صححه الترمذي وحسنه ومنها في الصحيحين أنه لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين صعد الصفا ونادى بطون قريش فلما اجتمعوا ناداهم بطنا بطنا فقال يابني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار فاني لا أغني

عنكم من الله شيئاً يا بنى مرة بن كعب إلى أن قال يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنقذى نفسك من النار فانى لا أغنى عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت أنقذى نفسك من النار فانى لا أغنى عنك من الله شيئاً . »

وما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والذين اتبعوهم باحسان ولا عن أحد من الائمة المجتهدين الاربعة وغيرهم أنه ذهب الى قبر نبى أو ولى أو صالح فسأل الله به أو سأله حاجة . قال صاحب الكنز من مشاهير متون الحنفية فى باب الحظر والاباحة ما نصه (قال أبو حنيفة رحمه الله أكره أن يقول العبد أسألك بأنبيائك ورسلك وبمعاقد العز من عرشك وبالبيت الحرام وبالمشعر الحرام) وقال مالك رحمه الله (ما رأينا أحداً من الامة يذهب الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله حاجة الا أن عبد الله بن عمر كان اذا قدم من سفر ذهب الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر ثم ينصرف) نقله القاضى اسماعيل فى كتابه المبسوط عن مالك رحمه الله بالسند الصحيح اليه . وقال الشافعي رحمه الله (أدركنا أهل

بلدنا يهدمون القبور بمكة فلا أجيز رفع القبر عن الارض ولا تجصيصه ولا البناء عليه) . حجته في ذلك حديث مسلم عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه لهدم القبور والتماثيل فلما بعث عامله ليفعل ذلك قال له ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تترك تمثالا الى طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته (مشرفا أي مرتفعا عن الارض .

اذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال الله بخلقه أو سؤال خلقه حاجة من الحاجات حدث وبدعة من البدع التي لم تكن الا بعد انقراض القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون كما في صحيح الترمذي عن عمر رضي الله عنه وكما في الصحيحين ونسوق لفظ الترمذي لاشتماله على زيادة ليست في الصحيحين (إن عمر رضي الله تعالى عنه خطب أصحابه بالجابية فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل وهو لا يستحلف ويشهد الشاهد وهو لا يستشهد فعليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المسلم)

وقد ثبت فى الصحيحين أنه لا نجاة إلا للفرقة التى تكون على مثل ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولم يكن فى عهدهم سؤال الله بالمخلوق ولا سؤال المخلوق للمخلوق قضاء حاجة فوق ما جرت عليه الاسباب وسنن الالهية بين الاحياء من سؤال بعضهم بعضا الدعاء وما فى وسعهم أن يقضوه بعضهم لبعض من السعى فى الخير ودفع الضرر وغير ذلك من شؤون الدنيا التى امرنا فيها بالسعى لانها من باب التعاون على البر والتقوى

والموتى لا شأن لهم بذلك وان كانوا أحياء فى قبورهم لأنهم مشغولون بأحوال الآخرة بعيدون عن الدنيا وأهلها وشؤونهم كما قال عز وجل (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على العقلاء من الاموات لا على الاصنام لانه لا يقال فى جانبها بعث ولا علم به وقوله غير أحياء أى الحياة الدنيا المبنية على الهواء والاكل والشرب وارتباط الاسباب بمسبباتها فيها فلا يمشون بأرجلهم على أرضها ولا يرون بأعينهم ما يجرى فيها ولا يسمعون بآذانهم ما يكون من كلام أهلها ولا يتناولون

بأيديهم ما يتناوله أهل الدنيا من البطش والقوة كما قال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) ثم بين الله سبحانه وتعالى على وجه التبكيت أنهم أضعف منا بعد موتهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم اعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) ثم أمر رسوله أن يعجزهم بطلبهم من الموتى أن يكيدوا رسول الله إن كانت لهم أسرار وقدرة على كيده وهو يذم من سألهم فقال (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) أى فلا تمهلونى فى الحاق الكيد بى ممن تدعونهم إن استطعتم (إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ولا يخفي أن الآية حصرت الولاية بالنصر والمعونة فى الله عزوجل فى الدنيا والاخرة

بيان عقيدة المشركين كما بينها القرآن

لم يكن المشركون يعتقدون فيمن يدعونهم من دون الله أنهم يرزقونهم أو يملكون لهم شيئا أو يحيون أو يميتون أو يدبرون أمراً من الامور او يملكون شيئاً من السموات والارض

أو يجيرون من يستجير بهم بل كانوا يعتقدون أن هذه الشؤون بيد الله وحده كما قال عز وجل حاكيا عنهم عقيدتهم (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) أي إذا اعترفوا لك بأن الفاعل لهذا كله هو الله تعالى فقل لهم ألا تتقون الله فلا تشركون معه في الفعال غيره وقال تعالى في بيان عقيدتهم وأنهم لا يملكون شيئاً من التصرف لغير الله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون علم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)

فقد ثبت من مجموع هذه الآيات في السورتين يونس

والمؤمنون أن المشركين لم ينسبوا شيئاً من التصرفات فى السموات والارض لغير الله تعالى ولكنهم اشركوا بتحكمهم على الله فى تعيين من يدعونهم شفعاء مع أن الشفاعة موقوفة على مشيئة الله وإذنه لمن شاء من خلقه ولا يعلم من يعطى الاذن من خلقه بعد التبيين والدليل على أن الشرك جاءهم من تعيين من يدعونهم شفعاء قوله تعالى فى سورة يونس (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) والدليل أيضاً على أنهم لم يكونوا يعبدونهم لغير الشفاعة والتقرب اليه تعالى بهم قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى يقول المشركون إذا سئلوا عن دعائهم لغير الله وعبادتهم إياهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ما نعبدهم طمعاً فى رزق أو جلب نفع أو دفع ضر فان ذلك كله لله ولكن نعبدهم للتقرب والاستشفاع بهم عنده . وقد بين الله تعالى فى سورة الرحمن أن جميع من فى السموات والارض يسألونه ما يحتاجون اليه فلا معنى لسؤال غيره من خلقه لأنهم لا يملكون شيئاً من شؤون الكون فقال (يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن) أى إذا كانت الملائكة والانبياء

والاولياء والصالحون يخصونه بالسؤال فلا معنى لسؤال غيره

من هذا كله يتبين أن سؤال غير الله من الملائكة والانبياء والاولياء والصالحين خروج على القرآن والسنة وعمل المهتدين من الأئمة وعبث لا فائدة منه للسائلين (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)

مبحث فى أمور ثلاثة لابد من معرفتها

الاول : الدعاء المذكور فى القرآن فى جانب الله تعالى أو غيره معناه الطلب بالنداء أو بالقلب أو بالعمل يدخل فيه العبادات كلها قولية كانت أو فعلية أو قلبية وليس منه نداء أهل الدنيا بعضهم لبعض فانه ليس على وجه التعظيم ولا على وجه الطلب فيما وراء الاسباب التى رتب الله نظام الكون عليها ولهذا لو كلفت أحداً من أهل الدنيا بما ليس فى وسعه كنت مستهزئا به كصعود السماء وحمل الجبال وشفاء المريض وإكثار الرزق وزيادة الاجل وقضاء الحاجة مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يفعل ذلك عاقل

لأنه عبث والذين يسألون الموتى يطلبون منهم هذه الأمور ويقفون خاشعين أمام قبورهم أكثر من خشوعهم وقوفهم في الصلاة ومعلوم الله ورسوله قد بينا أن أمور الآخرة من السعادة والشقاوة لا يعلمها إلا الله تعالى فلا يصح لمخلوق أن يطلب من مخلوق شيئاً منها إذ ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين) فقولهم إن النداء ليس عبادة باطل بل هو من العبادات القولية التي بها يضيع التوحيد القولي فإن المسلمين مجمعون على أن من قال يا الله فقد عبده بالذكر فمثله نداء غيره على وجه التعظيم وفي صحيح الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الدعاء مخ العبادة)

الثاني . إن التقرب إلى الله تعالى بغير ما شرعه مردود على فاعله لا يزيده من الله تعالى إلا بعداً وقد بين الله عز وجل أنه لا يقبل من عبد تقرباً إلا بالإيمان والعمل الصالح فقال (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) وفي الحديث القدسي (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه

ولا يزال يتقرب الىَّ عبدى بالنوافل حتى أحبه) فالعمل الصالح هو الفرائض التى فرضها الله والنوافل التى شرعها كالصلاة والصوم والصدقة وإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاحسان إلى الفقراء وسنن الصلوات وغير ذلك وشرط كون العمل صالحاً مقبولا عند الله أن يشتمل على ثلاثة أمور الأول أن يكون مأموراً به من الله ورسوله لقوله ﷺ (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) أى مردود على فاعله لا يقبله الله منه — رواه مسلم واصحاب السنن عن عائشة . الثانى — أن يخلص العمل لله فلا يشرك معه غيره . الثالث أن يؤديه على الوجه الذى شرعه الله فهذه شروط ثلاثة لكون العمل صالحا ومنه يعلم أنه من تقرب لله بشىء لم يشرعه مع أنه خلص فيه فهو مردود عليه . الثالث أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا يقربنا الى الله الا بينه لنا فمن زاد فى هذا الدين شيئا على بيان الله ورسوله يزعم أنه بدعة حسنة فقد ضل ولذا قال مالك رضى الله عنه كما نقله عنه الشاطبى فى الاعتصام (من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ترك شيئا مما يقرب الى الله لم يبينه فقد اتهمه بأنه خان الرسالة) . فالذى يريد

أن ينجو بين يدى الله يوم القيامة ويخرج بدينه سالما على الهدى فليقف عند ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وليتبع ولا يبتدع (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)

الباب الثانى

فى شبه قد تمسك بها طائفة من الجاهلين وتبعهم فيها كثير من علماء المسلمين وزعموا أنها تجيز ما منعنا فى الباب الاول ونحن نبينها هنا ونردها بما لا يدفع :

الشبهة الاولى

قالوا . قال الله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) وحملوا القربى على أقارب النبى ﷺ ولا سيما أهل بيته وأن من مودتهم زيارتهم بعد موتهم والاستشفاع بهم وفعل ما يفعلونه عند قبورهم وتزيينها وكسوتها إلى غير ذلك مما لاتتم المودة إلا به وقالوا . إذا لم يتوسل بهؤلاء إلى الله وهم أطهر الناس وأفضل الأمة نظراً لقرابتهم من النبى صلى الله عليه وسلم

فبمن يكون التوسل . وزادوا أنهم لا يمكنهم التوسل الى الله تعالى الا بتوسيط هؤلاء بينه وبين المتوسلين لأن المتوسلين ملوثون بالذنوب والمعاصى فلا يمكنهم الطلب من الله بغير واسطة هذا محصل دعواهم ودليلهم ولا شك أن هذه الدعوى لاتتم لهم الا اذا كان الخطاب المذكور فى الاية لعموم الامة وكان معنى الاية أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يبلغ الامة انه لايسألها أجراً على تبليغ رسالته الأن يودوا قرابته أحياء وأمواتا : ونحن نقول ان فى الاية أقوالا أولها وهو أصحها أن الخطاب لخصوص قريش والكفار منهم على الاخص الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حاصروه فى شعب أبى طالب ثلاث سنين ومنعوا عنه وأصحابه الزاد والماء وكل مساعدة وأن المراد بالقربى هى صلة القرابة التى بينه وبينهم وأن المعنى فى الاية أن الله امره أن يبلغ كفار قومه أنه لا يسألهم على تبليغ الدين أجراً لكنه يسألهم ان يراعوا ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من القرابة وأن يودوهم بدل أن يعادوهم ويؤذوهم وهذا القول هو الذى ارتضاه البخارى فى صحيحه وساق حديث ابن عباس يفسر به

الآية على ماقدمناه ويدل على هذا الذى بيناه أن أصحاب المشاهد التى يزورها الجاهلون اليوم لم يكونوا موجودين عند نزول الآية ولا بعدها بسنين والله ولد على بعد الهجرة أولاده وبناته ولا نزاع بين أهل الحديث والتفسير أن سورة الشورى نزلت فى أوائل ما نزل من السور قبل الهجرة بزمن طويل وحمل القرابة على العموم يرده حديث ابن عباس المشار اليه فانه حمل الخطاب على الأقربين من الكفار الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولفظه (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة)

القول الثانى : ان الخطاب لعموم الامة وأن الآية تدل على أنه يجب على كل انسان أن يصل قرابته ورحمه . والمعنى لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً لكن أسألكم أن تصلوا أرحامكم وأن تودوا أقاربكم وهذا القول أقوى الاقوال فى الآية لولا حديث ابن عباس ويؤيده قوله تعالى فى الآية بعدها (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور) أى وأى نفس تقترف

حسنة يضاعف لها أجرها والاقتراف الكسب وهو يدل على العموم لا على خصوص قرابته صلى الله عليه وسلم

القول الثالث : إن هذه الآية كانت في أول الاسلام ثم نسخت بقوله تعالى في سورة ص (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أي لا أسألكم أجراً أبدا لا مودة قرابتي ولا غيرها والخطاب على هذا لعموم الامة أيضاً وهذا هو اللائق بتلك المخصصين في المودة إلى الله فضلا عن الرسل . فكيف وقد حكى الله عن جميع رسله أنهم لا يسألون العباد على رسالة ربهم أجرا وإنما يسألون الله تعالى كما حكى عن نوح (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله) وعن هود (ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) وكما في سورة يس (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون) وإذا كان هذا ثابتا فيمن دونه منزلة من الرسل فكيف يجوز لمسلم أن يزعم أنه صلى الله عليه وسلم يطلب أجرا على تبليغ الرسالة . سبحانك هذا بهتان عظيم .

القول الرابع . ما سنكه كثير من أهل التفسير وهو أن المراد

به على وفاطمة وأولادهما وهذا القول مع مخالفته لنزول الآية وحديث ابن عباس فى تفسيره لها لا يستند الى شيء صحيح من السنة هذا خلاصة ما ذكره الحافظ فى الفتح فى تفسير الآية المذكورة ومن هذا يتبين أنه لا متمسك فى الآية لأحد من الجاهلين الذين يدعون أن قبور أهل البيت ممتازة على غيرها من القبور وسيأتى الكلام على أحكام القبور مفصلا فى الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

الشبهة الثانية

ما أخرجه الحاكم وابن حبان وصاحب الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى (فتلقي آدم من ربه كلمات) الآية . عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه بالاكل من الشجرة نظر فرأى مكتوبا على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقال اللهم إنى أتوسل اليك بمحمد وآل محمد إلا ما غفرت لي خطيئتي فقال الله عز وجل يا آدم من أين علمت بمحمد حتى تسألنى به . فقال

نظرت فرأيت مكتوبا على باب الجنة فعلمت أنك لم تقرن اسمك إلا بأحب الاسماء اليك فقال قد غفرت لك) وهذا الحديث مع خلو الكتب السبعة منه قد صححه الحاكم على عادته فى عدم المبالات فى تصحيح للموضوعات . قال الحافظ بن حجر فى تهذيب التهذيب فى الكلام على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . سأل رجل مالكا بحضرة الشافعى عن عبد الرحمن ابن زيد وهو مدار طريق هذا الحديث يعنى لم يرو من غير طريقه فقال مالك اذا أشكل عليكم اسناد حديث فائتوا به عبد الرحمن بن زيد فانه يحدثكم به عن أبيه عن جده عن نوح عليه الصلاة والسلام وهذا أبلغ ما يقال فى تكذيب الانسان . وقال مالك رحمه الله أيضاً انه يروى الاحاديث المناكير فقد روى أن سفينه نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين . وكما كذبه مالك بأبلغ تكذيب كذبه الشافعي وأحمد بن حنبل وعامة أئمة الحديث حتي قال الحافظ عبد الحق فى الكلام على رواة الحديث لا نعرف أحداً من أهل العلم يحتج بحديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم . وقال الحافظ الذهبي فى تعليقه على الحاكم صحيفة ٦١٥ جزء ثانى سطر سبعة الى تسعة قوله صحيح

فقد به هو موضوع فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يرويه عن مجهول وقد أطال الحافظ في تهذيب التهذيب في توهين عبد الرحمن ابن زيد توهينا شديدا بما نقله عن أئمة الحديث من الطعن عليه وهذا أخف مما نقلناه عنه فمن أراد الزيادة فليراجعه . ولما صنع الحافظ الذهبي أحد هيئة كبار العلماء التي كتب في الوسيلة في مجلة نور الإسلام اخطأ أن يقول أن الحافظ الذهبي دسيسة على الحاكم دسها الوهابيون عليه . مع أن الحاكم مطبوع في الهند لم يطبع سوى طبعتها .

الشبهة الثالثة

وهي أقوى الشبه ما أخرجه الترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه وحسنه أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد كف بصره فقال له ﷺ إن شئت احتسبت عند الله وإن شئت دعوت لك فرد الله بصرك فقال عثمان رضي الله عنه أحب أن يرد علي بصري يارسول الله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (قم فتوضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة أن ترد

على بصرى ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا له فرد الله عليه بصره) انتهى ما رواه الترمذى وأما الزيادة التى بعد ذلك المنسوبة إلى عثمان بن حنيف أنه عنم رجلا آخر فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فإن عثمان رضى الله عنه كان لا يسمع له شكواه ولا يقضى له حاجته فلما فعل ما علمه عثمان بن حنيف قضى له عثمان بن عفان حاجته هذه الزيادة كلها مكذوبة يكذبها من أسانيها أن عثمان بن عفان رضى الله عنه لو فعل ذلك مع أحد من الناس لكان خائناً وقد خلت منها كتب السنة كلها . وأما الجواب عما رواه الترمذي فمن وجوه

الاول : أنه لا نزاع فى جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم حال حياته فإنه كان يدعو لمن سأله كما أن هذا جائز بغيره من الاولياء والصالحين حال حياتهم باجماع المسلمين . بل سأل النبى صلى الله عليه وسلم عمر أن يدعو له وهو ذاهب ليعتمر فقال له (لا تنسنا يا أخي من دعائك) وقد أمرنا الله عز وجل أن ندعو للنبي صلى الله عليه وسلم فى صلواتنا وغيرها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) كما أوصانا صلى الله عليه

وسلم أن نكثر من الصلاة عليه وهو دعاء له بالرحمة والسلامة فقول القائل اللهم صل على محمد معناه اللهم ارحمه وارفع درجاته وسلمه .

الوجه الثاني : في الجواب على حديث الترمذي. إجماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم باحسان على ترك التوسل به بعد انتقاله إلى الدار الآخرة إجماعا عمليا قاطعاً فلم ينقل عن أحد من أصحابه ولا من الذين اتبعوهم باحسان أنه توسل به بعد موته أو ذهب إلى قبره لذلك بل الثابت كما في صحيح البخاري خلافه وقد روى في الاستسقاء عن عمر رضي الله عنه أنه خرج بالناس يستسقي حين حبس عنهم المطر فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا أدع ياعباس فدعا فسقوا .فلو كان التوسل به أو بغيره بعد موته جائزاً ما تركه عمر ولا أصحابه في أشد الاوقات إليه فتركهم التوسل به صلى الله عليه وسلم وعدولهم الى الاحياء ـ وهم أحرص الناس على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من أقطع الدلائل على عدم الجواز بالتوسل بذوتي .

الوجه الثالث: ان الحديث المذكور لم يسلم من طعن الحفاظ عليه ولهذا قال كثير من شراح الكتاب كالعراقي ان الترمذي لا يعول على تصحيحه فضلا عن تحسينه لانه صحح الضعيف جداً كحديث (مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم) وهذا عند أهل الحديث مسلم به وهو مع ذلك معارض بالاجماع الذي قد مناه وبحديث البخاري في الاستسقاء. هذا فوق أن الترمذي لم يرتق فيه عن درجة الحسن على أنه في غير محل النزاع فان النزاع انما هو في الوسيلة بالنبي والحديث في التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته كما سلف وهذا مجمع عليه من الامة بل ومجمع على ان الوسيلة جائزة بغيره من الاحياء أهل التقوى.

والشبهة الرابعة

حديث الترمذي أيضاً عن ابن عباس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه ضرب خيمة على قبر فسمع رجلا يقرأ فيه سورة الملك فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هي المنجية هي المخلصة من عذاب الله. وايراد هذا

الحديث فى الاستدلال على توسيلة بالموتى ممن أوردوه ضرب من الخلط فان التوسل بالقرآن وغيره من صفات الله مجمع على جوازه كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الباب . ومع هذا فبهذا الحديث ـــ كذوب قال الترمذى بعد روايته غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وأشار بهذا إلى ما طعن به عليه الحفاظ فان فى طريقه يحيى بن عمرو بن مالك النكرى البصرى قال حماد بن زيد كذاب يختلق الموضوعات وينسبها إلى الثقات ولولا هذا الرجل فى إسناد الحديث لكان من أصح الاحاديث فان بقية رجال إسناده رجال الصحيح وكما كذبه حماد كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم قاله الحافظ فى تهذيب التهذيب فى الكلام على يحيى بن عمرو المذكور .

الشبهة الخامسة

ماروواه ابن ماجه . أنه صلى الله عليه وسلم قال (اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا) الحديث . وهذا الحديث مع كونه فى غاية الضعف فانه لو صح لم يفد المستدلين

على جواز التوسل بأموات شيئاً فإن حق السائلين المذكور هو ما تفضل الله تعالى به على من دعاه بالاجابة لدعائه المشار اليه بقوله (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى) وقوله (ادعونى أستجب لكم) على أحد التفسيرين وهو تفسير الدعاء فى الآية بالطلب من الله وهو توسل بفضل الله وهو صفة من صفاته ولا نزاع فيه فأين هذا من الوسيلة بالمخلوق والميت المتنازع فيه .

الشبهة السادسة

حديث (حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وإن لك سوى ذلك استغفرت لكم) وهذا الحديث وإن اشتهر على ألسنة كبار الناس وصغارهم فقد خفت منه جميع كتب السنة حتى الحاكم الذى يروى ما هب ودب . ومع هذا فالذى رواه وقفه على بكر بن عبد الله المزني وهو تابعى مشهور ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابى أحد من رواة السنة لا فى صحيح الكتب ولا فى ضعيفها وهو منقطع لا يصلح للاحتجاج به وإنما يأخذه حضرات أهل الدين من دواوين الخطب ذلك مبلغهم من العلم . هذا مع أن البخارى ومسلم قد خرجا حديثاً يرده ويبين أنه ﷺ لا يعلم عن أمته شيئاً بعد انتقاله الى الدار الآخرة

وقد أورده البخاري في مواضع من صحيحه ووصف طرقه عند أهل الحديث إلى خمسة عشر صحابياً وهو حديث متواتر في قوة القرآن ولفظه في كتاب البخاري في كتاب الرقاق (بينما أنا أسقي الناس على حوضي إذا زمرة من أمتي يريدون أن يشربوا فيحال بيني وبينهم ويؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك لم يزالوا على أدبارهم بعد ما فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح — يعني عيسى عليه الصلاة والسلام — وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم الى العزيز الحكيم) وفي بعض الالفاظ تغيير من الرواة وزيادة ونقص . قوله إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك يدل على أنه لا يدري عن أمته شيئاً بعد موته لانه إذا جهل حال اصحابه الذين عرفوه وعرفهم فغيرهم من باب أولى . أما بقية ما أوردوه من الآثار والمنامات وتمسكوا به فنحن في غنى عن الرد عليه فان هذا لا يبنى عليه شرع مع أن أسانيدها كلها أوهى من بيت العنكبوت كما يعرف ذلك من له إلمام بأسانيد السنة

﴿ مبحث في الوسيلة وبيان المراد منها في القرآن والسنة ﴾

إعلم أن الوسيلة في لغة العرب كل شيء وصلك الى المقصود سواء كان مما يتقرب به الى الله أم لا . فالسفينة مثلا التي تعبر عليها

البحر من شاطىء الى آخر وسيلة . والسلم الذى يوصلك الى السطح وسيلة كذلك. وهكذا وتوصل الى كذا وتوسل اليه بكذا بمعنى واحد قال لبيد ألا كل ذى لب الى الله واسل . أى واصل. وقبل أن نبين معناها فى الشرع نبين أن التوحيد نوعان لا يتم إيمان العبد إلا بهما

(توحيد الالهية وتوحيد الربوبية وبيان معناهما)

أحدهما توحيد الالهية: وهو حصر التعظيم بجميع أنواعه فى ذات الله تعالى يتحقق ذلك بصرف العبادات سواء كانت قولية أو عملية أو قلبية إلى ذات الله تعالى وحده وينبنى على هذا الأصل أن من حلف بغير الله تعالى مثلا أو ذبح لغيره أو عظم بقلبه غير الله فقد ضيع توحيد الالهية لانه صرف أنواعاً من العبادات الخاصة بالله تعالى لغيره ومن ذلك نداء غير الله على جهة التعظيم والاستعانة والاستغاثة أو طلب منفعة أو دفع ضر فكل ذلك مخل بتوحيد الآلهية وإن كان فاعل شىء من ذلك معتقداً أن الخالق لكل شىء هو الله فان ذلك الاعتقاد لا يفيده مادام يصرف شيئاً من العبادات لغير الله تعالى ولا يخرجه عن الشرك .

الثانى توحيد الربوبية. وهو حصر جميع الآثار والافعال فى ذات الله تعالى وأنه هو صاحبها خلقاً وإيجاداً كالخلق والرزق والاحياء والاماتة

وشفاء المريض وتيسير الرزق أو إقتاره إلى غير ذلك من جميع شؤون الكون. ويعلم هنا أن العرب كان عندهم هذا النوع من التوحيد كما حكى الله تعالى عنهم أنه كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والارض أو عن الرازق أو المحيي أو المميت أجابوا بأن صاحب ذلك كله هو الله كما تقدم بيان ذلك مفصلا فى الباب الاول . ولكن الذى جعلهم مشركين هو فقدهم للنوع الاول من التوحيد لأنهم كانوا يذبحون لغير الله تعالى وينذرون لغيره تعالى ويلتمسون جلب النفع ودفع الضر من غيره تعالى وينادون ويستغيثون بغيره ويتقربون بما يستطيعون من الاموال وهذه الامور كلها عبادات مشروعة من خصائص الله تعالى وقد قال تعالى (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) وقال يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) سورة يونس. وهذا الاصل وهو معرفة النوعين من التوحيد ينفع المؤمن إذا تدبره ويتبين منه أن الايمان قد يوجد مع الشرك فقد يكون العبد معتقداً أنه لا خالق لكل شيء إلا الله

تعالى فيكون من تلك الجهة مؤمناً إيماناً صحيحاً . ثم يتقرب إلى غيره بشيء من العبادات التي اختص بها تعالى كالدعاء والنذر والذبح والتماس النفع ودفع الضرر من ذلك الغير فيكون بهذا

مشركاً من حيث لا يشعر . وقد كان هذا حال المشركين في عصر التنزيل فكانوا يؤمنون بالله تعالى مع الاشراك به كما قال (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقد روى النسائي عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يعلق على صدره شيئاً من خوص النخل فقال له ما حملك على هذا فقال أستشفي به فقطعه حذيفة ثم قال لاشفاك الله ثم تلا قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) . وأخرج بن جرير وأصحاب السنن الاربعة أن رجلا من اليهود جاء إلى أصحاب النبي ﷺ فقال ان ماتقولونه حق لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد . فأنزل الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) فقال رسول الله ﷺ (لا تقولوا شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد) . روى أصحاب السنن أن أصحاب النبي ﷺ مروا بشجرة قد علق بها المشركون شيئاً من الخرق والمسامير فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط أي اجعل لنا شجرة نتقرب بها إلى الله كالمشركين ـ

والأنواط هي التعاليق - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتقولون كما قال قوم موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة).

فاذا تدبر المسلم هذا عرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يمتنعون مما يشم منه رائحة التقرب الى غير الله تعالى ولو كان منسوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث المشيئة السابق.

بعد بيان هذا الاصل العظيم ننقل هنا كلام المفسرين من السلف عن لفظة الوسيلة فقد روى ابن جرير بخمسة أسانيد الى قتادة وأبي وائل شقيق ابن سلمة في تفسير سورة المائدة أن المراد بالوسيلة في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) إنما هو الايمان والعمل الصالح وهو تفسير ابن عباس في هذه الآية قال ابن جرير في تفسير الاية (يا أيها الذين آمنوا) صدقوا الله ورسوله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وأخبرهم به من الوعد والوعيد (اتقوا الله) أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي (وابتغوا اليه الوسيلة) العبادة المشروعة سواء كانت واجبة أو مندوبة فعلية كانت أو تركية كفعل الواجبات والمندوبات وترك المكروهات والمحرمات . اهـ . ولا بد لتكميل هذا التفسير من بيان وهو أن العمل لا يكون صالحاً حتى يستكمل ثلاثة شروط. الاول أن يكون

مأموراً به من الله تعالى فهو عمل الانسان عملاً غير مأمور به وقصد التقرب إلى الله تعالى فهو غير مقبول منه وبين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وقد سبقت الاشارة إلى هذا الأصل وتقدم الكلام على أن العمل لابد أن يكون مأموراً به ومخلصاً فيه صاحبه مؤديا له على الوجه المشروع. وهذا الأصل يبين أن ما يعمله أكثر الناس من العبادات التي اختص الله تعالى بها نفسه ولم يأذن أن تكون لغيره عمل غير مشروع وقد نهى الله تعالى رسوله والمؤمنين أن ينادوا غيره في القرآن كقوله تعالى (فلا تدعو مع الله أحداً)(ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) والدعاء يشمل العبادة بجميع أنواعها ومنها النداء على وجه الاستعانة والاستغاثة بالمنادي ومخالف لقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فان هذا عهد قطعه العبد على نفسه ألا يعبد غير الله ولا يستعين إلا به فاذا نادي غيره أو استعان بغيره فقد نقض العهد. وقال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً)وقال تعالى (فدعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) .

(طائفة من توسل الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

وهنا نبين طائفة من توسل الانبياء عليهم الصلاة والسلام: فمنه

ماحكى الله تعالى عن يونس وهو فى بطن الحوت فقال(وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادي فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) أى واذكر صاحب الحوت إذ ذهب مغاضباً قومه لعدم إيمانهم به فظن أن لن نضيق عليه وركب سفينة فخرجت القرعة عليه ليذبحوه ويأكلوه فرمى بنفسه إلي البحر فالتقمه الحوت فلما أصابه هذا الكرب (نادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) فتوسل بالتوحيد وقال حكاية عن آدم لما أكل من الشجرة هو وزوجه (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذه هى الكلمات المرادة من قوله (فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) فتوسلا بالاقرار بالذنب وطلب المغفرة وقال حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ترك زوجه وولده اسماعيل (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى قوله ربنا اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) توسل بالدعاء والايمان والعمل الصالح

(التوسل من السنة)

وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوسل فيقول (ياحى يا قيوم برحمتك أستغيث) وفى الحديث (دعاء أخى يونس مادعى

به مكروب إلا فرج الله كربه) وقد تقدم وفى الحديث (اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وفى الحديث (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين) والكتاب والسنة مملوءان بتوسل الانبياء بالله تعالى وصفاته والايمان والعمل الصالح لم يتعدوا ذلك وقد قصه الله علينا لنقتدى بهم. ومن أنفع الوسائل وأحب الطاعة الى الله صلاة النفل والصدقة والصوم والاكثار من الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وقراءة القرآن والذكر والتسبيح وغير ذلك من العبادات التى شرعها الله تعالى وما أحسن قول يعقوب عليه الصلاة والسلام (إنما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) وما دامت الوسيلة قد انحصرت فى العبادة المشروعة فلابد لمن يجيز التوسل بالمخلوق أن يأتى بدليل من الكتاب والسنة يدل على جوازه لأن العبادات لا تشرع بالعقل والاستحسان وقد أنصف الالوسى فى تفسيره سورة المائدة فى الكلام على الوسيلة وحكى فيها الحق

وأنه لا يجوز التوسل بمخلوق من المخلوقين وصرح بأن حديث (توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم) وحديث (إذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور) باطلان وهما كما قال فيهما من اختراع العامة ولهذا خلت منهما جميع كتب السنة. إلا أنه توقف في جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم تابعاً في ذلك للعز بن عبد السلام من أئمة الشافعية نظراً لحديث الترمذي عن عثمان بن حنيف وقد تقدم الكلام عليه مستوفيا فلا معنى لهذا التوقف ولا سيما بعد تصريح امامه أبي حنيفة رحمه الله بعدم جواز ذلك كما مر. والى هنا ننتقل من هذا الباب الى الباب الثالث في أحكام القبور.

الباب الثالث في أحكام القبور

والقبور هي الاضرحة لا يختص ذلك بمؤمن ولا بكافر قالت ام عبد الله بن عباس وهي ترقصه

ثكلت نفسي وثكلت بكري * ان لم يسد فهرا وغير فهر

بالحسب العد وبذل الوفر * حتى يوارى في ضريح القبر

والحسب ما يلحق الانسان من المدح بسبب عمله والعد الرقيم الذي لا ينال الا بعد جهد والوفر المال الكثير ومن هذا يعلم أن الضريح لا يختص بالمؤمن خلافا لما يتوهمه بعض الناس من اختصاص لفظ الضريح بالولي

عبادة القبور منشأ شرك العالم

أخرج المفسرون وأهل الحديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال رضي الله عنه كانوا خمسة رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا صنعوا لهم تماثيل وصوروا فيها صورهم يتذكرون بها أعمالهم الصالحة فلما طال عليهم الأمد عبدوهم من دون الله واتخذوهم وسائل إليه فكان هذا مبدأ شرك العالم وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى فلما كان قوم نوح اشتهر فيهم خمسة رجال صالحين وهم الذين ذكرهم الله بقوله (ولا تذرن ودا ولا سواعا إلى نسرا) هذا وتنقسم أحكام القبور إلى قسمين شرعية وبدعية فأما الأولى فهي ما شرعه الله وبينها رسوله وهي (١) النهي عن استقبال القبور بالصلاة والدعاء ولعن من فعل ذلك . أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة رضي الله عنها يحذر ما فعلوا . أي يحذر أمته أن تفعل مثل فعلهم . وروى أصحاب السنن الأربعة عن ابي هريرة فوق الحديث المتقدم زيادة (وصالحيهم

أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة — أي صورة الميت — أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) وهذا الحديث صريح فى عدم جواز استقبال أى قبر مهما كان صاحبه بالصلاة والدعاء سواء دعا الله وحده أو صاحب القبر أو دعاهما كما يدل على عدم جواز بناء المسجد على القبر وقد ورد هذا صريحا فى حديث أصحاب السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج) ويدل على لعن من فعل ذلك

من هذا يتبين أن المساجد التى أنشئت على القبور أو لأجلها لا تجوز الصلاة فيها لانه منهى عنها والأصل فى النهى التحريم وقد اتفقت الأمة على ذلك واختلفت فى الصلاة على المقابر التى لا مساجد فيها فقيل بكراهة ذلك وقيل بحرمته . ويدل على عدم جواز اتخاذ المساجد على القبور مع هذه الاحاديث قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) . ولا تكون المساجد خالصة لله إلا إذا كانت لم تنشأ لاجل صاحب القبر ويفهم من الحديث أنه إذا أنشىء المسجد لله ثم دفن فيه ميت بعد ذلك لا يدخل فى النهى لكن قال الحافظ بن حجر فى شرح الفتح لحديث ذى الخلصة من صحيح

البخارى فى الكلام على الغزوات ما نصه « وفى الحديث النهى عن الصلاة فى المساجد التى فيها قبور يفتتن الناس بها وأنه يجب إزالتها » انتهى وإذا لم يقدر الانسان على إزالة المنكرات التى تقع فى المساجد المشتملة على القبور التى يفتتن الناس بها وجب عليه اجتناب الصلاة فيها ودخولها للامر باجتناب مواطن المعاصى والنهى عن دخولها كما فى حديث الصحيحين (أنه صلى الله عليه وسلم لما مر بديار ثمود أسرع السير وستر وجهه وبكى وقال لاصحابه لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون أن يصيبكم ما أصابهم) قوله أن يصيبكم إلى آخره تقديره مخافة أن يصيبكم ما أصابهم وهو تعليل للنهى السابق . (٢) عدم جواز رفع القبور عن الارض وأنها تهدم ان فعل بها ذلك وتسوى بالارض . ودليل ذلك اتفاق الامة عليه وحديث مسلم عن على فى بعثه أبا الهياج الاسدى وقد تقدم فى الباب الاول وتقدم قول الشافعي أنهم كانوا يهدمون القبور بمكة وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم منع اصحابه من زيارة القبور أولا قبل أن يرسخ التوحيد فى نفوسهم لان الفتنة كانت بها شديدة فى أول الامر فلما رسخ التوحيد فى نفوس الناس قال صلى الله عليه وسلم لهم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها تذكركم

الآخرة والموت) ونفصل الكلام في ذلك فنقول وبالله التوفيق

﴿ الكلام في زيارة القبور وبيان الجائز منها والممتنع ﴾

الزيارة نوعان . نوع أمر الشارع به وهو(١) أن يذهب الانسان إلى المقابر فيتذكر الموت والآخرة ويدعو لأصحابها بالسلامة والعافية والمغفرة والرحمة وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كيفيتها بالقول والعمل ففي الصحيحين وغيرهم انه كان يزور القبور ويقول عندها (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم اغفر لنا ولهم وارحمنا وارحمهم) وهذا كله ان كانت الزيارة لمقابر المؤمنين فان كانت لمقابر غيرهم لم يجز للزائر أن يدعو بالاستغفار والرحمة لأصحابها كما ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم ذهب الى قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال (استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي ثم تلا ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى. الآية) وكما في صحيح البخاري أنه لما مات أبو طالب قال صلى الله عليه وسلم (لاستغفرن لك مالم أنه عنه) فأنزل الله الآية السابقة. وزيارة قبر أمه وان كانت بعد الآية بسنين لكن لعله استأذن

ضناً منه أن الله تعالى يجيبه فى ذلك فى أمه: قال النووى فى شرح المهذب فى كتاب الجنائز أن حديث مسلم فى زيارة قبر أمه ثبت فى نسخة الجلودي ولم يثبت فى نسخة عبد الغافر الفارسى ينبه بذلك على أن خلو بعض النسخ منه لا يقدح فى صحته (٢) ومن الاحكام المشروعة أنه لا يجوز للنساء أن يزرن القبور وقد أطلق القول بذلك كثير من العلماء والحق التفصيل. وهو أنه اذا كانت زيارتهن قليلة وخلت من المنكرات جازت الزيارة لهن والا حرمت لما أخرج الحاكم وصححه على شرط الشيخين وان لم يجب فى ذلك التصحيح على الشرط المذكور أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله زوارات القبور) قوله زوارات يفهم منه أنه اذا قلت الزيارة جازت (٣) النوع الثانى من الزيارة الزيارة المحرمة وهى التى تشتمل على ما نهى الله عنه كالنوحة والتسخط للقضاء والقدر والمبيت بالمقابر أو سؤال أصحابها أو الصلاة عندها أو استقبالها بالدعاء الى غير ذلك . فهذا النوع من الزيارة محرم باتفاق جميع العلماء : (٤) عدم جواز وضع الانوار عليها وقد اتفق العلماء على تحريم وبطلان الاوقاف التى توقف عليه ودليل ذلك قوله فى الحديث. والموقدين عليها السرج فان الله لا يلعن عباده على عمل يتقربون به إليه فاما ثبت فى الحديث لعن من ينير القبور دل على أنه عمل غير مشروع وأنه منهى عنه وأن فاعله

ملعون ولم يفرق فى الحديث بين قبر صالح وغيره ولا قبر نبي وغيره ومن هذا الاصل العظيم يتبين أن ماعليه الناس اليوم فى زيارة القبور من وضع الأنوار عليها مخالف لشرع الله ودينه وإن تسابق إليه الجهلاء.

(الحكم الخامس) ما يفعل عند القبور من تعظيمها بالطواف والتمسح والخشوع والزينة والنذر والذبح لها إلى غير ذلك مما يفعله الجهال يزعمون أنهم يتقربون بفعل ذلك إلى الله تعالى. كل هذه الامور منهى عنها لأن الذبح والنذر والطواف والتمسح عبادات شرعها الله تعالى ليعبد بها دون سواه ولعن من فعلها لغيره: وفى حديث الصحيحين عن على رضى الله عنه قال (ماترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً اختصنا به من دون الناس) ثم أخرج صحيفة كتب فيها عن رسول صلى الله عليه وسلم أحاديث فقرأ منها أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من غير منار الارض ـ أى العلامات التي يهتدى بها الناس إلى السير فى الطريق ولعن الله من آوى محدثاً) أى مفسداً فى الارض: واتفق المسلمون على أن الذبيحة لغير الله لايجوز أكلها وكذا ما أهدى إلى قبر من نقود أو خبز أو غيره لان الله تعالى حكى ان المشركين كانوا يفعلون ذلك فى سورة الانعام فقال (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام

نصيبا — أى وشركائهم نصيبا بدليل قوله بعد ذلك — فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) والحرث الزرع أى ان المشركين كانوا يجعلون من زروعهم ومواشيهم جزءا لله بالنذر وجزءا لشركائهم به فندد الله عليهم بذلك وختم الآية بقوله (ساء ما يحكمون) واما الطواف فشرعه الله الا بالبيت واما التمسح والتقبيل فشرعه بخصوص اركان الكعبة والحجر الاسود في صحيح البخاري عن عمر رضى الله عنه انه استلم الحجر الاسود وهو يحج قبله وقال (أني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) وصح عن عمر انه قطع الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان التي ذكرها الله في سورة الفتح لما رأى الناس يذهبون اليها وأخفي موضعها وقال أرجوع الى الى الجاهلية الاولى. وبالجملة فلا يجوز فعل شيء عند القبور الا بما علمه النبي ﷺ لاصحابه من الدعاء وقد تقدم بيانه وأجمع المسلمون على انه لا يجوز النذر الا لله وحده وان من نذر لغير ويكون عاصيا بنذره قال شيخ الاسلام زكريا في شرح الروض من ذبح ولو الى رسول الله ﷺ فقد كفر لان الله تعالى يقول (وما أهل لغير الله به) اى وحرم عليكم ما ذبح لغير الله وسماه الله فسقا ونذكر بهذه المناسبة الكلام على سماع

الموتى في قبورهم واحقاق الحق فيه

مبحث سماع الموتى واختلاف العلماء فيه

اختلف اصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم الى اليوم في سماع الموتى فذهب الى المنع من الصحابة عائشة رضى الله عنها ومن التابعين قتادة بن دعامة وأكثر التابعين ومن أتباع الائمة الاربعة واكثر الحنفية والحنابلة كما حكاه الكمال بن الهمام عن اكثر الحنيفة فقال أنه مذهب أجلة علمائهم وكما حكاه القاضي الكبير في اكبر كتبه وقال هو اختيار اكثر اصحابنا أى الحنابلة وأستدلوا على ذلك بقوله تعالى (انك لا تسمع الموتى) وبقوله (وما انت بمسمع من في القبور) وقالوا هذا قاطع متواتر ظاهر في المنع ظاهر في عدم سماع الموتى فلا يرد الا بقاطع مثله وذهب اكثر الشافعية والمالكية وبعض الحنابلة واكثر الصحابة والتابعين الى انهم يسمعون واستدلوا على ذلك بما في الصحيحين انه ﷺ كلم طائفة من قتلى بدر بعد القائهم في بئر من آبارها منهم ابو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله اتكلم اجسادا لا أرواح فيها فقال رسول الله ﷺ

(ما انتم بأسمع لما أقول منهم) ومما أخرجه ابن منده من مسند عبيد بن مرزوق مرسلا انه ﷺ مر بقبر امرأة محجن وكانت تقم مسجد النبي ﷺ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي العمل وجدت أفضل قالت قم المسجد . أي تنظيفه) فقيل له ﷺ أتكلم ميتا يا رسول الله فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منها) ومما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبر فصلى على صاحبه ثم كلمه وسلم عليه فرد عليه ثم قال لاصحابه (ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه) وقالوا هذه الاحاديث تدل على ان الموتى يسمعون وأجابوا عن الآيات بان المنفي فيها سماع الانتفاع لا مطلق السماع جمعا بين الادلة هذا ملخص وجز الاختلاف العلماء في سماع الموتى . وقد أجاب المانعون عن هذه الادلة بأن حديث الصحيحين قد انكرته عائشة رضى الله عنها وقالت ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول ابن عمر ولكنه قال (انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق) وأجابوا عن حديث ابن منده بأنه مرسل لا يصح الاحتجاج به وعن حديث الحاكم وغيره بأنه غير صحيح قال الحافظ ابن رجب تصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل

الحديث بعدم الاعتبار وهو كما قال فقد صح كثيرا من الاحاديث الموضوعة كما تقدمت الاشاره اليه والحق أنهم لا يسمعون الا السلام عليهم كما ورد به النص وان سماع قتلي بدر كان خصوصية له صلي الله عليه وسلم اذا صح ما قاله ابن عمر وقد روي البخاري بعد ان ساق الحديث وساق انكار عائشة على ابن عمر من روايه أنس عن أبي طلحة عن عمر روى ان قتادة قال احياهم الله لنبيه فسمعوا كلامه والحق ان هذه الاحاديث كلها لا تعارض ظاهر القرآن وانه يقتصر على ما ورد به النص ولا يعم في سماعهم

(خاتمة)

(في حياة أهل القبور وتحقيق الحق في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلم ان الله تعالى قد نص في الكتاب الكريم على حياة الشهداء وأنهم عند ربهم يرزقون واذا ثبت ذلك في الشهداء فالانبياء عليهم الصلاة والسلام من باب أولى لان الحياة بعض ما يصيب المتقين من النعيم وهم أفضل المتقين وقد صنف الامام البيهقي

كتابا سماه حياة الانبياء بعد انتقالهم الى الدار الآخرة . وقد اختلفت الامة في وجود الانبياء في قبورهم فاكثر العلماء على انهم موجودون في قبورهم وأحياء فيها وقد أورد البيهقي من السنة في الاستدلال على حياتهم بأرواحهم وأجسادهم حديثين هما أصح ما ورد في حياة الانبياء . الحديث الاول حديث اصحاب السنن وأحمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء) الحديث الثاني (ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحي حتى أرد عليه) قال البيهقي وهذا أصح شيء في الباب فأما الحديث الاول فقد ضعف البخاري اسناده ولهذا لم يثبته في صحيحه وكذا مسلم ولكنه لايخرج عن كونه حسنا صالحا للاستدلال به على ان الارض لاتأكل اجسادهم واما الحديث الثاني فيدل على ان الانبياء ليسوا أحياء في قبورهم لان رد الروح يقتضي عدم وجودها وقد أطال السيوطي كلامه في هذا الحديث وأجاب عنه بخمسة عشر جوابا اصحها ما نذكره وقد ارتضاه البيهقي في حياة الانبياء وهو ان قوله (الا رد الله علي روحي) جملة حالية على تقدير قد والمعنى ما من أحد يسلم علي

الا وقد رد الله علي روحي الي آخره . لكنه لا يتم هذا الجواب لا بجعل هذا الحال لازمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا مانع من التزام ذلك والاستدلال عليه بحديث أصحاب السنن ان الله وكل به ملكين يبلغانه صلاة وسلام من يسلم عليه من أمته واما غير الانبياء والشهداء فحياتهم حقيقية بمقدار مايدركون العذاب أو النعيم . وأما بلاء أجسام غير الانبياء فيدل عليه حديث الصحيحين (كل بني آدم يبلي الا عجب الذنب) وقد اشتهر بين الناس ان الاولياء والعلماء والمؤذنين لا تبلى اجسامهم وليس لهذا مستند صحيح . والحياة الثانية للانبياء وغيرهم من أصحاب القبور لا يعلم حقيقتها الا الله تعالى وهي على كل حال مخالفة لحياة الدنيا مخالفة تامة اما الارواح بعد خروجها من الجسم فانها تصعد الى المكان الذي أعده الله تعالى لها من العذاب أو النعيم كما روى ذلك مالك في الموطأ عن النبي ﷺ فالقول بأن الارواح منطلقة تطوف حيث شاءت قول مخالف للسنة محض الرأي ولقوله تعالى (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) الآية وما تقدم في الكلام على سماع

الموتى وحياتهم في القبور نعلم أنهم لايسمعون لمن يدعوهم ولا يستجيبون اليه كما قال عز وجل في توبيخ من يسألونهم ويقصدونهم للحاجات (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير) وقال (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون)

قراءة القرآن للموتى

ومما ينبغي علمه هنا أن قراءة القرآن لاتصل الميت ولا تنفعه لاجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم على تركه ذلك ولأن الله ذكر في القرآن ان حكمة انزاله الانذار والتبشير للاحياء كما قال تعالى (لينذر من كان حيا) بعد قوله (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) الآية وغير ذلك وجميع ما ورد من الاحاديث في قراءة القرآن على الموتى في سورة يس وسورة قل هو الله احد باطل فاجتنبه

وتتم هذا الحق وتدبر قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي إنما إلهكم إله واحد) الآية. ولا تنس ما قدمناه لك من الشروط في صلاح العمل والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع الحق إلى يوم الدين آ

تمت هذه الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٥١ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام آ

جمع هذه الرسالة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال المهتدين من السلف رجاء أجر الله تعالى ورضوانه وبذلا للنصيحة وقياما لحجة الله على خلقه

محمد محمد مخيمر

من علماء الازهر

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY

خطأ	صواب	صفحة	سطر
بينه	بينة	٥	٣
للفرضه	للفرقة	١٥	١
	بل	٢٨	١
الاوقات	أشد أوقات	٣٠	١٣
الجواز بالتوسل	جواز التوسل	٣٠	١٦
طرفه	طرقه	٣٤	١
فى كتاب	من صحيح	٣٤	٣
ارتدوا	إرتدوا	٣٤	٦
بالى	تعالى	٣٧	١
اكثر الناس من العبادات	اكثر الناس لغيره تعالى من العبادات	٣٩	٦
		٣٩	٩
تدعو	تدعوا		٠٠
تدعو	تدعوا	٤٤	١٣
نسحه	نسخة	٤٧	٣
وأكثر	أكثر	٥٠	٥
الحنيفه	الحنفية	٥٠	٦
لايحمل	إلا بحمل	٥٤	٢
دعاكم	دعاءكم	٥٥	٤
ياته	آياته	٥٥	١٣